المقالة الأدبية عند مارون عبود (دراسة تحليلية)

بسام خلف سليمان

كلية التربية الرياضية / جامعة الموصل

الاستلام القبول

٢٠٠٧/٠٥/٠٩ ٢٠٠٧/١٠/٠٣

Abstract

The Lebanon artist Maroon Abud was disking in (1962-1886) For his, various writing in poetry, fiction, drama, essay, translation.
Criticism and educational studies. He enriched the Arabic library with his.
Large contribution .He tries in this paper to shed light on the literary essay, which is signified with in his many essays that is published in the journals. Most of them carries journalist editor through the artistic.
Objective analytical study the research based on am introduction and two investigations, the in tradition deals with specification the concept of literary about maron Abud's life. the first investigation to study the (essay attitude) from the emotional direction, reflection direction, sociological direction. while the second in restigation to study (essays styles) from the fictional style, translation style, sneering style and the art of letter writing style .

ملخص البحث

تنوعت كتابات الأديب اللبناني مارون عبود (١٨٨٦-١٩٦٢) من شعر وقصة ومسرحية ومقالة وترجمة ونقد ودراسات تعليمية، إذ أتحف بها المكتبة العربية بعطائه الثر. وجاء هذا البحث ليسلط الضوء على المقالة الأدبية عنده وهي جزء من المقالات الزاخرة التي ملأت الصحف التي عمل في أغلبها محرراً وصحفياً من خلال تحليل نصوص المقالة الأدبية وبيان أبعادها الموضوعية والفنية والكشف عن الدلالات المختلفة التي تمخضت عنها بمدخل ومبحثين تناول المدخل تحديد مفهوم المقالة الأدبية، ومن ثم تقديم موجز عن حياة مارون عبود، وجاء المبحث الأول لدراسة (اتجاهات المقالة) من حيث الاتجاه الوجداني والاتجاه التأملي والاتجاه الاجتماعي، في حين خص المبحث الثاني لدراسة (أساليب المقالة) من حيث الأسلوب القصصي وأسلوب التفكه والسخرية وأسلوب الترسل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدخل البحث

أولا: تحديد مفهوم المقالة الأدبية:

المقالة الأدبية إبداع أدبي يمتلك من الأدوات التي تقربه من منزلة الشعر والقصة وغيرها من الفنون إذ أنها أخذت على عاتقها مهمة خروج المقالة من دائرة الصحافة، لتخترق المضامين والأشكال الفنية المؤثرة لتصبح من " جسد حي تام الكينونة والشخصية له مقدمة وسياق وقلب يحقق الموقف ثم غاية تفصح عن الغاية "[١].

وكونها قطعة نثرية ذات طول محدد يعبر عن موضوع بطريقة عفوية[٢]، لتكون تعبيرا حيا عن مواقف ذاتية ومشاعر حية تجسد روح وشخصية كاتبها، وتكون رابطا بين ذاتية الأديب وتجاربه الشخصية والمتلقي من خلال استخدام اللغة استخداماً خاصاً[٣]، فالمقالة الأدبية هي أسلوب نثري في شكل محدد الطول والتكوين ومتنوع المضامين شرطه الذاتية والتعبير عن التجارب الإنسانية وتعتمد في أسلوبها على الحديث المباشر ليبين الكاتب عن نفسه في إطار عرض أخاذ يؤثر في النفس[٤].

ثانيا : مارون عبود (١٨٨٦ - ١٩٦٢) موجز حياة:

يتحدد فهم طبيعة وشخصية مارون عبود من حياته التي عاشها في رحاب الوطن والأسرة والجامعة والصحافة، فقد ولد مارون عبود (مارون حنا بن عبد الأحد عبود) في قرية (عين كفاع) في لبنان عام (١٨٨٦)، وهناك كانت النشأة حيث درس في مدارس القرى منذ عام (١٨٩١) حتى عام (١٩٠٤)[٥] لينتقل إلى (مدرسة الحكمة)، ثم ترك الدراسة ليمارس الصحافة في جريدتي الروضة والنصير للعامين (١٩٠٦-١٩٠٨)، وبعدها انتقل إلى العمل الوظيفي الحكومي عام (١٩١٣)، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى عاد إلى قريته ليتحول إلى مزارع وتاجر للفترة (١٩١٥-١٩١٩) التي امتازت بأنها فترة عصيبة من تاريخ الوطن العربي، حيث الجوع و الفقر والموت...

وبعد انتهاء الحرب عاد إلى التدريس عام (١٩٢٢) ليدرس في الجامعة الوطنية في عاليه، وتعد هذه الفترة الانتقالية من حياته فترة خصبة وثرة بالعطاء والنشاط، حيث التدريس والتأليف والنشر. وهذا التنقل في ميادين الحياة " من صحفي إلى مدرس إلى مزارع إلى موظف حكومي ثم إلى مدرس ثانية فمدير مدرسة فناقد - جعله - مبدعاً في كل مجال حمل لواءه إليه "[٦].. فهذا التعايش الحي بين متطلبات الحياة وميادين الثقافة المختلفة والألوان الحية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنابضة بالأدب والتجارب الأدبية، مكنته من امتلاك أدوات التأليف في الشعر والقصة والمقالة...

وكان جديرا بان يكرم من الجامعة الوطنية عام (١٩٤٨) بيوبيل فضي تقديراً لجهوده القيمة في التدريس والتربية الوطنية... وهو في مسيرته هذه عبر من خلال ما كتبه عن قضايا ومشكلات وطنية أو أدبية أو نقدية، كما كتب عن همومه وأحلامه ورؤاه الثقافية تجاه الذات الإنسانية في الوطن والأمة.. لكن المرض تمكن منه عام (١٩٥٧)، وظل يقاومه حتى حزيران عام (١٩٦٢) إذ وافاه الأجل [٧].

ترك مارون عبود تراثا ثراً من المؤلفات التي تنوعت بين الأدب، والنقد، والسيرة الذاتية، وتاريخ الأدب والترجمة[٨]. وأبرز مؤلفاته في مجال الأدب:

أولا:- القصة وتشمل:-

أ. وجوه وحكايات ١٩٤٥.

ب. أقزام وجبابرة ١٩٤٨.

ج. الأمير الأحمر ١٩٥٣.

د. أحاديث القرية ١٩٦٣.

هـ. فارس أغا ١٩٦٤.

ثانيا:- المسرحية وتشمل:-

أ. الأخرس المتكلم ١٩٢٥.

ب. تيودوسيوس قيصر ١٩٢٥.

ج. مغاور الجن ١٩٢٦.

د. كريستوف كولومبوس ١٩٤٠.

هـ. مجنون ليلى (مفقودة).

ثالثا:- النقد الأدبي وتشمل:-

أ. الرؤوس ١٩٤٥.

ب. على المحك ١٩٤٦.

ج. دمقس وأرجوان ١٩٥٢.

د. في المختبر ١٩٥٢.

هـ. جدد وقدماء ١٩٥٤.

و. على الطائر ١٩٥٧.

ز. نقدات عابرة ١٩٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ح. مجددون ومجترون ١٩٦١.

رابعا:- الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب والتراجم[٩] وتشمل:-

أ. المحفوظات العربية ١٩٢٤.

ب. زوبعة الدهور (أبو علاء المعري) ١٩٤٥.

ج. الشيخ بشارة الخوري ١٩٥٠.

د. صقر لبنان (احمد فارس الشدياق) ١٩٥٠.

هـ. أمين الريحاني ١٩٥٣.

و. أدب العرب ١٩٦٠.

ز. بديع الزمان ١٩٦٣.

ح. رواد النهضة الحديثة ١٩٦٦.

خامساً:- المجموعة الكاملة لمؤلفات مارون عبود وتشمل:-

أ. المؤلفات أعلاه في اثنا عشر مجلد.

ب. من كل وادٍ عصا ١٩٥٢.

ج. من الجراب ١٩٥٣.

د. سبل ومناهج ١٩٥٥.

هـ. قبل انفجار البركان ١٩٥٨.

و. آخر حجر ١٩٧٤.(طبع بعد وفاته)

ح. مناوشات ١٩٧٥.(طبع بعد وفاته)

ز. رسائل مارون عبود ١٩٧٧.(طبع بعد وفاته)

المبحث الأول

اتجاهات المقالة

منذ أن مارس مارون عبود العمل الصحافي في جريدتي الروضة والنصير " نرى أن اهتماماته أخذت اتجاهات عدة، منها نقده الاجتماعي وفيه مقالات إصلاحية عالج فيها مشاكل اجتماعية وسياسية وخلقية كانت لبنان تتخبط فيها آنذاك، ومنها مقالات تتضمن نقدا أدبياً "[١٠] فكانت المقالة الأدبية لديه خطابا حيا للمواقف والمشاعر، تحمل صورا متنوعة من التشويق والإثارة، لينتج من خلالها تمردا وثورة ضد كل ما يشوه الإنسان والحياة، لكن " أسلوبه في هذه المرحلة – بداياته– لم يكن قد اتضح بعد فهو يلجأ إلى الرموز طورا ويصرخ صرخات عالية مخاطبا شعب لبنان داعيا للتحرر بأسلوب يتضح خيالا وتصويرا، وطورا يكتب برزانته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعروفة، وعقله الراجح ومعرفته الواسعة غير أن ذكرياته في هذه الفترة تدلنا على نشاطه الدائب والمستمر، لكنه إلى جانب هذا الكد كانت تتخلل حياته بعض ساعات اللهو والمرح، إذ يترك العنان لسخريته ولقريحته، ويروح يتسلى مع بعض أصدقائه، والقارئ واحد من ذكرياته في ذلك الزمان "[١١].

لم تكن طبيعة كتابات مارون عبود نتاج أكاديمية محمولة على شهادة علمية وإنما كانت نتاج موهبة ومقدرة وعصارة ممزوجة بالرؤى النابعة من الاطلاع الواسع، والتفهم والتذوق الأدبي، وبانطباعيته وعفويته كان مارون عبود أستاذاً يتطلع إليه الآخرون ويحترمونه من خلال آرائه النقدية والاجتماعية والوجدانية، وكان مثالا حياً لكل من تتلمذ على آثاره لذلك يقول عنه نزار قباني: " كتبنا شعرا في عصر مارون عبود، وعلى محك هذه السنديانة الماردة برينا أقلامنا، وتركنا أسماءنا، (سنديانة) نعم وجدت الكلمة سنديانة، من هذه السنديانات التي تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة لا تبخل على واحد منهما بخيمة ظل، أو سرير ورق اخضر أو زوادة قش تحمله إياها قبل أن يذهب، من هنا ينبع مجد السنديان، مجدك يا أستاذي، يا مضيف الأجنحة المليسة الزغب، يا حاضن الشرانق الحبلى بألفِ خط حرير، يا مالئا مناقير العصافير الهابطة إليك زهراً ورماناً وحبات الكرز، قل أن عرف الأدب العربي ناقداً تطهرت ريشته من سواد الحقد، وتبرأ قلمه من حليب الكراهية العكر "[١٢].

وتظهر في المقالة الأدبية شخصية مارون عبود " جلية جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه وعدته في ذلك الأسلوب الذي يتسم بالعاطفة ويثير الانفعال ويستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ القوية الجزلة "[١٣].

لذا فقد تنوعت موضوعات مقالاته التي كتب بها ويمكن أن نحصر المضامين الأدبية، بالمضمون الوجداني والنقدي والاجتماعي يعود ذلك إلى " قناعة الكاتب بضرورة القصد الفني والتأثير عن طريقهِ لدى الكتابة، ومنها ظرف سياسي واجتماعي يمنح الكاتب وقتا للتأمل والتفنن، وللقارئ وقتاً للقراءة والاستمتاع في متابعة نفس الكاتب "[١٤].

إن فهم طبيعة هذا التنوع في المضامين والاتجاهات يتصل بطبيعة حياة مارون عبود لأنه " ليس بعسير أدراك هذا على من تأمل سيرة حياة الرجل والأحداث التي ملأت حياته والعقبات التي حاربها فانتصر عليها فمارون من الرجال الذين شقوا طريقهم بأيديهم وبنوا منازلهم بكد إيمانهم ولم يتسلقوا على رفات أحد ولم يستجدوا رفد أحد "[١٥].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- الاتجاه الوجداني:-

عندما تتجه المقالة اتجاهاً وجدانياً فلابد أن تكون " نفثه من وجدان "[١٦]، وان يتمسك الكاتب بهذا الاتجاه، ولاسيما أن الاتجاه الوجداني يعني أن تكون المقالة " نسيجاً حياً تغزل العاطفة خيوطه وتصطبغ بها ألوانها "[١٧].

وحين نستقرئ مقالات مارون عبود فإننا نجدها نسيجاً من عواطفه وهمومه وشخصيته الظاهرة والباطنة فتنساب المقالة الوجدانية وهو يكتبها وكأنها " إحساسا شديداً ملك عليه لبه فأخذا يقلبه على جميع وجوهه يبني حوله مختلف الصور والأشكال حتى يجعل منه كائناً متكاملاً "[١٨].

فتبقى المقالة حية متفاعلة متحركة بفيض من العواطف والأحاسيس... فهي انعكاس واضحُ على تقلبات حياتهِ وتطور فكره وثقافته وما يطوقها من عواطفه وكأنها مرآة عاكسة لسيرة حياته من بدايتها حتى نهايتها، وصورة مجسده لصدق أحاسيسه التي اعتراها العناء والألم والمرارة.

ففي مجموعته (وجوه وحكايات) ينطلق فيها ويعود من وجوه آلفها وأحبها وهي جزء من وجدانه وعواطفه: " وأما أنا فكنت كمن أبصر في نومه أن ذئباً يعدو وراءه انبطحت على الأرض ونزل فارس أغا من دابته وعدا نحوي ليقلبني من عثرتي فاشتد صراخي وما امتدت يداه إلي حتى أخذت افحص بيدي ورجلي كأرنب ولكنه لم يفلتني وحملني إلى البيت مدمياً "[١٩]. هذه بعض مشاعره حول رجل يدعى (فارس أغا) الإقطاعي الذي يخشاه الناس.. وتمتد مقالاته بشكل أفقي مع سيرة حياته.

ففي مقالاته الوجدانية تتسلط عليها عواطفه في طفولته ونضجه في ترحله وعودته ومرضه لتكون تجسيداً حياً لما نبضت به حياة الرجل من خوالج وعواطف ووجدانيات من خلال ما فيها من يوميات وتحركات وأعمال وما انعكست فيها من قيم وأخلاق امتزجت إمكانياته الأدبية بتجاربه الشعورية، ذلك ما نجده في مقالته (لله درها) يصور فيها طفولته عندما حاول الأهل أن يجدوا مرضعةً له فلم يفلحوا، لينتهي الأمر بمرضعة هي (البقرة): " تلك بقرتنا عبيدة فابنها الأزهر أخي الرضيع، فلا تتعجب إذا قلت لك أن بيني وبين البقرة قرابة. انقطع رزقي في يوم ولدت فالمرحومة والدتي كانت غير حلوب، ولو لم أكن طويل العمر لرحت ضحية عناد والدي، ولم يكن في الضيعة كلها غير مرضع واحدة، والوالد لا يرضعني حليبها لأسباب مات ولم يصرح بها "[٢٠].

فعواطفه تتجه لماضيه الذي يرى فيه عبراً وأخباراً قد تفيد القارئ الذي يهم ــ مارون عبود ــ كثيراً فضلاً عن ذاكرته التي تأخذه معلقاً فيما كتبه من مقالات وجدانية فيثير فيها الشجن والألم ومواقف مشتعلة بالعواطف والأحاسيس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو يتألم لحال شعبه وما آل إليه الوضع آنذاك، ففي مقالة (البهائم تفكر في مصيرها) يصف حال شعبه المتردي الذي أصبحت فيه الحيوانات تدرك مصيرها، في حين أنه مجهول المصير " هذا زمان الكلاب والقطط يا أخي... ليس الكلاب التي تطارد الوحوش الضارية ولا القطط التي تصطاد الفئران والجرذان، بل تلك التي تجلس في الأحضان وتتناول وأصحابها القبلات وتدلل وكذلك وتأكل خير الطعام من ألباننا ولحومنا ومن السمك والسردين واللحوم المعلبة "[٢١].

٢- الاتجاه التأملي:-

وللتأمل حضوره المتميز في حياة مارون عبود من خلال أجواء القرية الجميلة وجمال الطبيعة وما تمنحه من خلوة مع النفس، كما أن طبيعة حياة مارون عبود ونفسيته التي تميل إلى العزلة، كانت جديرة بأن تُجسد التأمل في مقالته، وهو كغيره من الأدباء " إنسان يعيش حالة من القلق والتوتر والحيرة وفي أثناء كل هذه المعاناة تعمل في داخله خلجات تأمليه فكرية عميقة لكنها ليست معقدة موغلة في الاغتراب والتجريد، وقد يحاول وهو يبحث عن حل لفك رموز الحياة "[٢٢].

وابرز ما يميز الاتجاه التأملي في مقالات مارون عبود هو أنها " ومضات فكرية حول الحقيقة والوجود والحياة والموت والسعادة واليقين..."[٢٣]. وهي عوامل شاركت في تحديد إشكاليات الأسئلة التي قد تطرح على النفس البشرية سواء أكانت عادية أم مبتدعة ومتطورة وبالمقابل ستختلف الإجابة حسب القدرات التصورية للإنسان، وتكشف مقالاته التأملية بوضوح عن قيم وتصورات وروى لها علاقة بالنفس والحياة، وما ينتابها من خوالج تقلقها وتغيرها من ضياع لا نهاية له إلا الموت أو الخطيئة، لذا يرى أن لا مذهب له في الحياة في مقالته (هذا مذهبي) وهي صورة متأملة لحياته التي يحياها بكل آسى وألم " مذهبي في الحياة أن لا مذهب لي فيه فكل أعمالي خبص في خبص ما أريده لا افعله والشيء الذي لا أريده إياه اصنع، أحسني كرة في يد لاعب جبار يقذفها في الفضاء، فلا هو ولا هي تدري أنى تتوجه وأين يكون مستقرها، فالحياة في نظري لعبة تتلهى بها قوة سرمدية أزلية، تخرج منها أنماط لا يدرك ولا يزال في قرارها غرائب وعجائب لا نهاية لها. كلما تزاوجت انسلت أقزاما وعماليق وكلما انفصل الكائن الأزلي تفجرت قواه اللامتناهية، وانبثق إلى الوجود ما يحير كل الوجود "[٢٤].

فمارون عبود بطبيعته ومنذ نشأته كان متمرداً على كل ما حوله واتجه في حياته اتجاهاً مختلفاً[٢٥] وينبع تأمله من فهمه العميق لها وسبره لأغوارها كلما أتيح له ذلك وان تجاهل بعض ما في حياته، لكنه عبر عن تأملاته من خلال ما ينتابه من مشاعر القلق والتردد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والضياع وهو تأمل يعكس عمقاً في الروية وكشفاً واضحاً للحياة والكون " في مذهبي أن الدماغ البشري هو المستودع النائمة فيه إلى حين أسرار الطبيعة، وقد عاينته يبرزها إلى الوجود واحدا واحداً في سبعين عاماً فما كان مستحيلاً أمس ممكن اليوم، لا أتمثل الحياة إلا مدرسة لا نهاية لدروسها، خريجها يتوارى في الظلمة قبل أن يرى النور الذي ينتظر، ومع ذلك أراني أؤمن بالحياة إيمانا عميقاً لا قرار له، وأحبها محبةً كلية ولكنها بدون رجاء "[٢٦].

وتأملات مارون عبود ممارسة صادقة لحقيقة ما يراه في الحياة والوجود والموت، ومن اجل ذلك فهو يسلك فيها توالي الأفكار الواحدة تلو الأخرى حتى يصل إلى الأفكار البؤر التي يسلط الضوء عليها بتأمل عميق ونافذ.

٣- الاتجاه الاجتماعي:-

ينبع الاتجاه الاجتماعي في الكتابة الأدبية من كون " الأدب ظاهرة اجتماعية تعيش لحظات المرحلة بوعي تام يستقطب امتداد الزمن عبر تحولات الحدث الإنساني وحركته، إنها القدرة على إشراق الأبعاد المتداخلة في الزمان والمكان للواقع الحياتي من خلال الانفتاح على العالم والكون، والتي تعيش في أعماق الوجدان الإنساني فتجيء لغة الأدب صورة من صور الاستقطاب الحضاري للفعالية الإنسانية تحمل في خصائص المرحلة امتداد الحركة في الوعي المنظم لمسيرة التاريخ..."[٢٧].

والمقالات الاجتماعية في كتابات مارون عبود تأخذ حيزاً كبيراً منها وهي تعكس حالات اجتماعية يرفضها ويوجه لها نقداً لاذعاً، وتوجيهاً وإرشادا لتغييرها فكانت " انعكاساً حياً للواقع المعاش وصورة فنية له وتعبيراً عن وعي الكاتب في العملية الاجتماعية ودرجات تطورها وتعقدها "[٢٨]. ولم يكن ليسكت عن نظام الجباية الجائر وعمّا كان يلاقيه الفلاح من ظلم الجباة وتعسف الولاة. كما كانت تؤلمه الانتخابات التي لا يترك للناخب فيها حرية الاختيار والتي كان يسودها الضغط، وتتحكم بها الرشوة " لا تنسَ أنه لا يزال في الأرض بقوة أوادم تعرفهم أنت وأنا وكل إنسان فاختر نائبك منهم، ولا تسمع كلمة (السماسرة) الذين عرفتهم بلا سراويل، حتى إذا غطوا العيب وسافرت أيديهم ورجعت غانمة، جاءوا يغرونك ويخدعونك. إذا خيرت بين مرشحين يدفعان فخذ من الأفضل ولو أقل كما فعل ذلك الأميركي. أخذ من الأفضل عشرة دولارات، ولم يأخذ العشرين من المرشح غير الصالح. أراك قد سقط ريالك حين سمعت بالريال!!. صحيح أن القطع النادر عزيز، ولكن الوطن أعز يا عزيز قلبي "[٢٩].

ولم تخل ثورته هذه من تهجم على رجال الدين باعثي روح الطائفية التي فتكت بوحدة المجتمع العربي في لبنان، فهو يندد باستبدادهم قائلاً: " تحت جبة كل اكليركي، كبيراً كان أم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صغيراً، حاكم مستبد "[٣٠] ومارون في أدبه وفي مسلكه كان حربا على كل ما يخدش إنسانية الإنسان، فنراه يطالب بالا يكون الفرق بين إنسان وإنسان مبنياً على اختلاف الجنس، إنما على اختلاف الثقافة والتحصيل العلمي، لذا نادى بأنه يحق للمرأة المثقفة أن تنتخب وتنتخَب قبل الرجل غير المثقف " أليس من المضحك المؤلم أن ينتخب المكاري، والمعّاز، والبقّار والحمار، والبغّال، والعتّال، وتحرم الدكتورات، والمحاميات، والكاتبات، والشاعرات والمعلمات، والراهبات حق الانتخابات!!... تطلب المرأة أن تنتخب – بكسر الخاء – وأنا أطلب أن تعطى هذا الحق بالفتح أيضاً "[٣١].

يحاول مارون عبود أن يتحسس الآفات الاجتماعية ويكشف لنا عن آثارها ويقترح سبل التخلص منها، ولا يجب الوقوف عندها في حالة من اليأس " ربما قلت لي كيف أثبتت وأنا يائس؟ فأقول لك إن الأحوال المعاكسة تؤكد القوة والمعاكسة تصيرنا أقدر على المدافعة والتغلب على عقبة واحدة يزيدنا قوة للتغلب على عقبات عديدة... فالعبقرية ترتعش أمام الصبر والكد والمواهب السامية تلقي سلاحها عند أقدام الاجتهاد العظيم ولذلك قالوا: العبقرية صبر وثبات ونبوغ "[٣٢]. بهذه الرؤية المتفائلة يتغلب الكاتب على انعكاسات الواقع المرير فتمنح القارئ وقفات فيها أمل لعبورها، ويرى أن ضرورة معالجة المشاكل الاجتماعية من خلال العمل على الخروج منها ولو بالحد الأدنى وهو الابتسامة، وهذا ما يعتقده في مقالته (الابتسامة رأس المال) إذ يقول: " ولا يغيظني أحد أكثر ممن يسمي الدنيا وادي البكاء والدموع، وان كنت ترتأى ما يرتأيه فأنا أقول لك : ابك حتى لأنفس عن مرجلي فأني الجأ إليها في اشد الساعات، فبحياتك، جرب اتبع فلسفتي وإذا كنت غير مطبوع مثلي علي الضحك فجرب على الأقل أن تبتسم لا تخيط بوزك حين تقابل الناس فهم لن يهابوك، إذا بكيت فإنما تبكي وحدك أما إذا أردت أن تتغلب عليها أتظن انك ترد ما فات إذا لبست وجهك المقلوب "[٣٣]. تلك هي بعض الأمراض الاجتماعية التي سخر لها مارون عبود قلمه ولسانه، والتي حاول أن يجد لها العلاج.

المبحث الثاني

أساليب المقالة

أولا: الأسلوب القصصي:

ولعل الإمكانيات التي يتبعها هذا الأسلوب من سرد ووصف وحوار ما جعلها من الأساليب المفضلة لدى مارون عبود... فإمكانيات المقالة القصصية كبيرة وهي تجسد الجزيئات التفصيلية لحياة أو موقف أو ظاهرة يحاول الكاتب الكشف عنها، منها مقالة (لا يحولون ولا يزولون) وهي واحدة من مئات المقالات التي تأخذ من أسلوب القص وسيلة لتقديم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأفكار الفنية الغزيرة إذ يقول: " اذكر ولا انس أبدا أنني بكيت بكاء مراً حتى بللت دموعي مخدتي وتعكرت من الغيظ عيناي، كما قال داود بعد فعلته تلك كنت كالغريب في تلك المدرسة فاستوحشت جداً وعللت النفس بالسلو، فإذا بي في الغد التفت صوب بيتنا فابكي، سخر مني رفاقي وسموني البكاء، ولكني فقتهم درساً حين نسيت ملاعب صبوتي فراح ذلك الاسم، ومرت الأيام فجاء (أحد المرفع) فتذكرت الخروف الذي ذبحناه عام أول، وارتمينا بشحمه ولحمه كعذارى أمريء القيس، تذكرت الكبة النية والهريسة والكروش المحشوة وجميع أصناف المأكل اللبنانية، فبكيت في فراشي حتى دري أحد رفاقي فقال لي: تبكي يا مارون؟ فأجبته لا . باصر بنومي، فضحك وضحكت "[٣٤].

ونلمس من هذه المقالة كغيرها من مقالات مارون عبود أنموذجا سهلاً ميسراً مليئاً بالأحداث الواقعية التي عاشها ولمسها في طفولته أو شبابه أو حتى في أثناء مرضه، لذا فان مقالاته صورة صادقة من صور الحياة التي عاشها في المدارس التي تعلم فيها، أو في الصحف التي عمل فيها أو في الجامعة التي درس فيها. وكأنه يكتب بهذا الأسلوب متعمداً ليستطيع أن يفهمه النشئ الجديد وعامة الناس.

كما انه يلجا في أحيانٍ كثيرةٍ إلى أسلوب الوصف للأمكنة أو ما فيها من طبيعة وهي مألوفة لديه قد خبر ما فيها من وديان أو جبال وحتى تعرجاتها وألوانها، نلحظ ذلك في مقالته (عين كفاع) مثلاً وهي تدور حول القرية التي ولد فيها الكاتب، وعاش تفاصيل حياته فيها يصفها قائلاً: "جزيرة برية على رابية مخروطية مفرطحة قليلاً تعلو مائتين وخمسين متراً عن الأودية التي تطوقها... فإذا نظرت إليها من جبل معاد تخالها حلزونا..."[٣٥].

هو يختار ألفاظه وعبارات من البيئة الريفية اللبنانية فذلك لا يمنعه أن يستخدم ألفاظاً مألوفة تناسب الذوق الجدير بالاعتبار هو الذوق الريفي لكنه مصقول بذوق مارون الأديب الذي يتناسب مع دواخل القراء، ويؤثر فيهم بفهم عميق وحس مرهف ويمد جسور عظيمة معهم بكل مستوياتهم لما يمتلك من قدر وافر من التجارب، فضلاً عن انه مطلع جيد لما يدور في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية ما جعله ينوع في أساليب التجارب الحياتية والأدبية لان حياته " كانت كفاحاً مستمراً ولا تزال جهاداً مراً ومن هذا تعلمت ألا أيأس ولا اقنط، فكأني دائماً انتظر شيئاً فأشمر للحاق به ولعل هذا هو الذي جعل طريقي لا نهاية له "[٣٦].

ويلجأ مارون عبود إلى السيرة الذاتية في مقالاته لتعلقه الشديد بحياته ولاسيما الطفولة وذكر أيام الشيطنة، ويأتي الوصف مشاركا إلى جانب السرد في البناء الفني للمقالة إذ انه يحسن رسم شخصيات قصصه فهو يختارها من الشخصيات القروية الريفية التي رآها وعايشها وراقب تحركاتها عن كثب ففي مقالة (أم نخول) يقول: " سمعت باسم أم نخول وأنا ابن خمس، فكنت اكبر ويكبر معي... لم يخرج كر السنين ذاك الاسم من رأسي، بل قامت إلى جانبه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صورة بيتها، وسمعت عنها أحاديث أغرتني بزيارتها، ولكني تهيبت العقاب[٣٧] القائمة... دونه وأخيراً ولا ادري كيف... رأيتني على مقربه من بيتها.. وجدتني تلقاء امرأة لا هي طويلة ولا قصيرة ولا ضخمة ولا هزيلة لا جميلة، ولا قبيحة لا صبية ولا عجوز، تعصب جبهتها بقدة[٣٨] سوداء، وتلف رأسها بفوطه بيضاء نظيفة كأنها من ممرضات اليوم، تلبس فستانا منتفخا على كتفيها كأن هناك رمانتين. قماش كثير من الزنار ونازلاً فكأنها خابية[٣٩] من خوابي بيت شباب، قبل أن ابلغ البيت الأبيض مررت بين أشجار كلها حوامل بعضها مؤزر بشباك ترد عنها الطير فلا تفسد ثمارها وعلى رؤوس الغصون الشامخة جماجم غنم ومعزى وقشور بيض مرفوعة على قصب مغروز في الأرض "[٤٠].

وللحوار في مقالات مارون عبود الدور الهام في عرض مضامينها ويمكن تعريف الحوار بأنه " نمط من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار ويشتمل على نسب موزونة منظومة من الإيقاع والاتزان "[٤١].

وبوساطة الحوار يستطيع الكاتب أن يرسم معالم شخصياته واتصال بعضها بالبعض الآخر بشكل مباشر، وتطوير الأحداث حتى تفضي إلى العقدة فضلاً عما يضيفه الحوار من حيوية على عنصر السرد وتدفقه فالكاتب يستخدم أنواعا من الحوار في عرض موضوعات مقالاته وهذه الحوارات هي:-

١. حوار يؤلفه الكاتب على لسان الشخصيات لتتحرك ويعبر عن نفسها بالتحادث والحوار الدائر بينها ولا دخل للمؤلف في ذلك[٤٢]، ففي مقالة (مدارس اليوم ومدارس ألامس) إذ يصور الكاتب كيف يقوم ذوو الطلاب بإزعاج إدارة المدرسة عن طريق الحوار بين المدير والست، فيقول:"

- دقّ جرس التلفون – نعم هنا المدرسة – من تريد، الست.
- من فضلك مدير المدرسة.
- نعم أنا المدير وحضرتك؟.
- أنا أم فؤاد يا أستاذ.
- أي فؤاد منهم، عندي أكثر من فؤاد يا ست.
- فؤاد .. فؤاد عيطو، أرجوك أن تسمح له يوم السبت.
- لا إذن في التلفون.
- كيف.
- نعم هذا ممنوع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- السبب.
- أمس كان عندكم يا ست، والإذن بالشهر مرة.

ولما عرفت أن حيلتها لم تجز علي راحت تقهقه.. وتغني بلا حياء زوروني بالسنة مرة "[٤٣].

٢. حوار منقول من حكاية أو قصة من الكتاب المقدس أو مقتبس من القرآن الكريم وخير ما يمثل ذلك ما جاء في مقالة (إلى كل امرأة) إذ يصور الكاتب المساواة بين الرجل والمرآة القديمة العهد منذ زمن سيدنا آدم (عليه السلام)، فلو يعدها المشرع اقل عقلاً من أخيها الرجل لما عوقبت مثله إذ يقول: " أما اليوم فصرنا شركاء في النضال والدفاع وليس هذا بشيء جديد، كذلك كنت سيدتي في الزمن ألا بعد كذلك كنت يوم خلقت جدتك حواء آدم، أما تنعما معاً في الفردوس ثم عصيا وطردا من جنة ربهما! إذن هذه المساواة بيننا قديمة العهد ولذلك سموك شريكه الحياة: حسبك يا سيدتي إن ينتصر لك السيد المسيح فيقول: لمضطهديك : من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر... أما جاء رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)، ففرض لك وأعطاك ما أنت جديرة به من حقوق؟ وقد سماك قارورة فلا تجعلي نفسك خابية ولا قانية، فلو اعتبرتك التوراة اقل عقلاً من الرجل، ما حملتك مسؤولية المعصية حين أكلت تلك التفاحة فوقع القصاص عليكما معاً "[٤٤].

٣. غالباً ما يؤلف الحوار على لسان الحيوانات التي اتخذ منها رموزاً تتوب عن أناس عصره فلم يكن يتاح للصدور أن تلفظ ما يجيش بها " هذي فصول نضالية كتبت ونشرت أيام كان الانتداب يسوق الناس بعصابة "[٤٥]. فالأفواه مكمومة والأيدي مكفوفة، ولم يكن من سبيل إلى الانتقاد والثورة والإصلاح إلا من خلال التستر خلف الرموز أحيانا وخلف الحيوانات التي سخرها أبطالاً لصورة الإصلاحية أحيانا أخرى.

ففي مقالة (ديك يصلي ليلة عيد الميلاد) نجد بعض الآراء الخيالية التي يلجأ إليها متخذاً منها أساسا للإصلاح الواقعي! وقد نحا فيها نحو ابن المقفع في أسلوبه ولكن بطريقة مباشرة كانت إلى الوعظ اقرب منها إلى المثل الخرافي إذ يقول: " فتشقق الديك الرومي من الغيظ وخرج من بين جماعة الدجاج فضحكت إحداهن وقالت: انه هو المطلوب أولا، فليذهب حيث شاء، وفي هذا المساء تقبض روحه، إن شاء الله ووقف الديك خاشعاً. وطفق يناجي ربه، راجياً أن ينجي معشر الدجاج من المجزرة: يا رب الجميع لا تسد إذنيك عن تضرعات عبيدك الدجاج، فأنت خلقتهم ضعافاً ومن حقهم أن تحميهم، ومن للضعيف غيرك يا الله ؟ إن الإنسان الذي خلقته على صورتك ومثالك، يحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء فآية بدعه هذه خلقها ابن البشر ليأكلنا ليلة عيد ميلادك يا رسول الرحمة "[٤٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : أسلوب التفكه والسخرية:

يعد أسلوب التفكه والسخرية من الأساليب القديمة التي استخدمها الكتاب العرب في كتاباتهم وعلى رأسهم الجاحظ الذي اعتمد على الأسلوب التصويري الساخر كما في رسالة التربيع والتدوير وفي مطلع القرن العشرين نجد عبد العزيز البشري، وإبراهيم عبد القادر المازني من الأدباء الذين يرون أن أسلوب السخرية يزيد المقالة حياة ويفتح لها صدراً من القارئ[٤٧]، كما يعد العامل النفسي من أهم الأسباب التي ساعدت على بروز أسلوب التفكه والسخرية الذي يمثل الرغبة في الاستعلاء على الحوادث ومن ثم يؤدي إلى التنفس والترويح عن النفس من آلامها في ضحكات ذات معان[٤٨]، وبذلك يكون هذا الأسلوب وسيلة للأديب إلى الشفاء الروحي " ما وجدت ترياقاً لسم الحياة أشفى من الهزء بها وبناسها "[٤٩]. فضلاً عن انه يمنح النص الأدبي نبرة من الجموح والحركية.

لقد ورث مارون عبود أسلوب التفكه والسخرية من والده الذي كان محبا للأنس والفكاهة حاضر النكتة محبا للدعابة البريئة " ففي ليلة من ليالي صيف (١٩٣٠)، سهر معنا كعادته أطربنا بنكاته البريئة وأخباره الطريفة "[٥٠]، فضلاً عن ميله إلى المرح واستئناسه بكل مرح ضحوك فهو في وصفه لأحد رجال القرية يقول: " كنت أحبه واستأنس بحديثه لأنه كان ظريفاً ضحوكاً يداعب الصغار ويلاعبهم ويضحكهم "[٥١]. ونلحظ أن أسلوب التفكه والسخرية بدا ينمو عند مارون عبود عندما دخل مدرسة الحكمة (١٩٠٤-١٩٠٦) إذ يقول: " ولبست ثوباً إفرنجيا أنيقا راح الشدياق وجاء الافندي وكان الطوق المكوي يشد الزيار على رقبتي الغليظة فأخال الياقة كأنها الخناق وأبدو لعيني كأنني الهر المشنوق... وشاع في المدرسة أنني انظم الكلام الموزون المقفى الذي كانوا لا يزالون يسمونه شعراً، فتجمعوا علي كأنهم حول دب يرقص "[٥٢].

وأتيحت له الفرصة في هذا الجو بان يرخي العنان لسخريته فأصبح يهجو " وباختصار لم يختصر العام المدرسي حتى صارت الدجاجة الغربية ديكاً ينقر ويناقر "[٥٣]. وظلت روحه ميالة إلى الدعابة والمزاح وخير ما يصور ذلك حديثه على نادرة حصلت في صف من صفوف الحكمة تدور حول ختان السيد المسيح إذ يقول: " كان الخوري فرنسيس الشمالي يعلمنا التعليم المسيحي وكان لنا اكليريكي كلع يقعد حدي، وكنت أتندر عليه، شرح لنا الخوري لماذا إختتن المسيح؟ فقلت له: انطون، صحيح أن المسيح قد أختتن؟ فأجاب: ما سمعت الخوري؟ قلت: وايش عملوا بالقلفه؟ فقال: رموها، ونظر ليرى كيف كان وقع جوابه، فرأى أني غير مطمئن فقال: حقيقية يا مارون، المسالة فيها نظر، قلت: اسأل المعلم، فانتصب انطوان كالمارد ودق على الطاولة، فاستعاذ الخوري بالله واضطرب على كرسيه لان أسئلة انطوان الغريبة كانت تضعضعه، وطرح انطوان سؤاله، فعلا الضحك والضجيج، واخذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخوري يضرب المنبر ويصيح: كلب، تيس يقصف عمرك، اقعد مطرحك يا بغل! ... وبعد التحقيق الإداري كانت لي الحصة الكبيرة من القصاص، وشتمني المدير بيني وبينه وقال لي: حتى على المسيح يا مارون!."(٥٤).

وهو غالبا ما يربط بين طفولته وطفولة الآخرين ويتذكر إزاءها أقوال الناس وأحاديثهم ففي مقالته (في العجلة السلامة)، من مجموعة (آخر حجر) يسخر مارون عبود من قول الناس (في العجلة الندامة) ويعكسها فيجعل في (العجلة السلامة) وهو يريد بذلك أن يجزم للآخرين أن لأقوال الماضين ما ينافيها " وعندما قال الذين مشوا قبلنا على دروب الحياة: في العجلة الندامة كان مركوبهم، إما أرجلهم و إما قوائم حيوان مسخر لخدمتهم. أما نحن أبناء هذا الجيل، فمركوبنا نار وحديد وفولاذ منها ما يمشي على الأرض، ومنها ما يدع الطير خلفه ولا يلحقه مهما جد وكد ولذلك قالوا هم: في التأني السلامة "(٥٥).

ولا يتوانى مارون عبود أن يدحض تلك الأقوال بما ينافيها وهي أيضا من أقوال الماضي: "ومع ذلك فقد رأينا في الأقدمين من آمن بفوائد العجلة. أما قالت العوام: الضربة لمن سبق؟ وهذا ما ينطبق اليوم انطباقاً كلياً على عصرنا، عصر السرعة، ففي ذلك الزمان كان اكبر عيب أن تأكل واقفاً أو ماشياً، أما اليوم فأصبح كل شيء يعمل على الماشي، لقد استراحت المقاعد وتعبت الأرجل... إن العجلة هي سمة عصرنا ولكن ليس معنى أن تكون أهوج فلا تتقن عملك، أن عدم إضاعة الوقت هو العجلة المطلوبة، إن السرعة أم الثقة بالنفس وهي انصع برهان على انتظام إعمالنا ومقدرتنا..." (٥٦).

وهو إذ يسرد أقوال العوام وأمثلة من التاريخ العربي، ويتسلسل فيه إلى غاياته الإبداعية ورؤاه الفكرية ليضع أمام القارئ دقائق وتفاصيل تلك الرؤى مقنعاً إياه بالأفكار التي يحاول ترسيخها في فكره (القارئ) " فاعمل يا أخي اليوم ما يمكن عمله:

ما مضى فات والمؤمل عيب ولك الساعة التي أنت فيها

لا تؤجل شيئاً لان الغد ليس ملك يديك انك لا تدري ماذا يحدث فتندم على ما فات ولات ساعة مندم.

ابصق على الشيطان واجعل شعارك في العجلة السلامة وقدم الأهم على المهم وليكن لكل عمل وقت وإذا فعلت فأنت مفلح إن شاء الله "(٥٧).

ومن طريف سخريته انه يلجا إلى الحيوانات في حديثه لأنها من أكثر المحسوسات التي آلفها، ولها تماس في حياة الناس، وإذ يلجأ إليها من أجل أن يكشف عن تشبيهات وآراء عفا الزمن عليها، ولم تعد صالحة وهذا ما تستقريه في مقالة (شبابك على قدر طاقتك) إذ يقول: " إن عدد السنين، وشيب الشعر، وسقوطه، كل هذا لا يقدم ولا يؤخر، هل رأيت ثوراً يدركه الشيب أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلع مهما يعش؟ ليس العبقري للحراثة، ولا يعيش على عضلات يديه أو رجليه، وإنما يحيا ويظل فتيا بتلافيف دماغه، فرب فتى خرف في الثلاثين وربَ شيخ ظل فتى الفكر في الثمانين والتسعين. إنا لفي زمن يهزأون فيه بالشيخوخة لأنها شيخوخة. هذا هو اعتداد الكثيرين من الشباب. ولا عجب، فالصراع كما نلاحظه قائم أبدا بين الشيوخ والشباب. نبدأ في البيت فالشيخ لا يعجبه شيء من أعمال ذريته وهي غريزة المحافظة على السيادة التي فقدت أو كادت "(٥٨).

غير أن مارون عبود يسخر من الاثنين الشباب والشيوخ لأنهما معاً صنَعا الفجوة الكبيرة بينهما ولان كليهما لا يفسح المجال للآخر في ممارسة حق الحياة، وهو يقنع الآخرين برؤيته وسبب سخريته بوقائع وأحداث تاريخية أو أقوال وحكم وشعر الماضين يسخرها لدعم حقيقة الأمر المطروح، وهي جميعها لديه ممارسات خاطئة، وبنفس أسلوب السخرية يلفت نظرنا إلى الصراع القائم بين الأم وكنتها (زوجة ابنها)، وهو صراع الأجيال الذي لا مبرر له: " وكذلك أم الأولاد فإن لا عمل لها إلا نقد كل حركة من حركات كنتها، تفتش دائماً حولها لعل عينها تقع على من تغمزه على تلك العروس وتقول همساً: كنا وكنا!. أما الكنه فتقول وهي تتنهد! عجوز... وإذا خرجنا من البيت الأبوي عثرنا على أنماط لا تحصى في جميع ميادين الحياة "(٥٩).

وهو في أكثر الأحيان لا يكل في إحصائها واستخلاص العبر من اجل تصحيح ما فيها من الأخطاء ومن اجل رفع وعي الآخرين بما يمتلك – هو – (مارون) من رؤى تقدمية وفاعلة لتغيير ما يراه غير صواب، فهو في الغالب قد يطيل من اجل إكمال ما بدأه في تحقيق تواصله مع القارئ وجذبه إليه.

وهو عندما يسخر لا للسخرية بحد ذاتها وإنما من اجل لفت الأنظار لأمور تؤرقه وتقلق الآخرين قال لي أحد أطباء العيون: عش هادئاً خالياً من التفكير، إذا شئت المحافظة على ضوء عينيك عش عيشة نبات.

فضحكت وقلت: وما رأيك لو عشت عيشة حيوان؟

فأجاب: لا!. إن الحيوان اقل تفكيراً من الإنسان هو يغضب حين يفترس وأنت يجب أن لا تغضب أبداً "(٦٠).

ثالثاً : أسلوب الترسل :

يقصد بأسلوب الترسل " اعتماد الكاتب على الوضوح التام والتحليل والبساطة والإفاضة دون نقل فني خاص وهذه السمات لا تحقق إلا إذا استطاع الكاتب أن يطلق موهبته على سجيتها دون أن تقيدها قيود شكلية صارمة، وبذلك تأخذ اللحظات النفسية الإبداعية عند الكاتب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حريتها في الانطلاق والإحاطة بآفاق الموضوع التي أثارتها "[٦١]. وهو في مقالاته الأدبية يجسد الحضور المتميز الذي يستخدم فيه الأسلوب المرسل والذي يتميز " باللفظ السهل وبساطة في البيان وإيجاز في التعبير" [٦٢]. وهو الأسلوب الذي خلص النثر من قيود السجع وإيغالاته، وهو ما جسده مارون عبود في تناول موضوعاته، وأوصل أفكاره للمتلقي من اقرب طريق وأجمله بعيداً عن السجع والزخارف والتكلف اللفظي فأسلوبه في ذلك الأسلوب السهل الممتنع، ووضوح عباراته مما يجعلها تؤدي وظيفتها الصحفية في التأثير في القارئ. وتعميق الأفكار في ذهنه ولا عجب أن مارون عبود ذو موهبة وممارسة فنية وقدرة على الرؤية، وهو يطلق لموهبته على سجيتها من دون تكلف وتعقيد معتمداً على طبعة وتمرسه وتجاربه[٦٣].

فسلطة الصحافة كانت واضعة يدها على مارون الذي مارس كتاباته الأدبية من خلال عمله الصحفي وهو ككل الأدباء الصحفيين يجد " حاجة إلى إفراغ فكرته في قالب يستميل القلوب، انه لا يستغني عن هذا كله إلا أن إفصاحه عن الجمل في كتابة المقال قد يستطيع أن يصل إليه في كثير من الأحوال بلفظه واحدة أو تشبيه واحد أو استعارة واحدة غير أن اختبار هذه الاستعارة يستلزم سلامة الذوق، من اجل هذا نجد أن الصحفي الماهر يلجأ إلى الألفاظ التي يستفيض استعمالها في العامة واصلها فصيح وفي كل قطر من أقطار العرب طوائف بقايا الفصاح فان انتزاعها من مستوى العامة وإلقاءها في الصحافة يمهد السبيل إلى التأثير في ذهن القارئ "[٦٤] .

ومن مقالاته التي يظهر فيها أسلوب الترسل في إطار لغة سهلة مألوفة وتراكيب بسيطة لا تعقيد فيه ولا التواء مقالة (فارس أغا) إذ يقول: " كنت صغيراً ولداً ورشاً للشيطنة مقام جليل جداً... كانت المرحومة أمي تعجز عن إيقافي عند حد الرصانة التي تتمناها لغزالها... فأخذت تخوفني بالعسكري إذا تجاوزت الحد في لعبي قالت: اهدأ يا مارون، أقول للعسكري، يأخذك. وإن طلبت مني حاجة لم أقضها خوفتني بالعسكري. وإن اعتديت على أحد رفاقي أدبتني بقضيب دقيق وقالت: الحبس قدامك. غداً يجيء العسكري "[٦٥].

نلاحظ كيف استرسل مارون عبود في سرد أحداث وقعت في نعومة أظفاره إذ كان مولعاً بالشيطنة وعبثاً، وكانت والدته تحاول التخفيف من عبثه والحد من حركته فكانت تلجأ إلى تخويفه بالعسكري.

ولمارون عبود باع طويل في الصحافة والنشر، لذلك فمقالاته لم تترك شاردة وواردة إلا وكتبت فيها، فضلاً عن كتاباته التي تعد منافذ شفافة وواضحة جداً لما يريد أن يصل إلى الناس من عواطف وهواجس رؤى وأمانٍ وأحلام.

ولا يقتصر أسلوب الترسل عند مارون عبود في المقالات الذاتية بل أسترسل في مقالاته الاجتماعية ونختار من مقالاته النقدية على مستوى الفرد مقالة (شَهوة الحكم) التي ينتقد فيها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلوك بعض الموظفين إذ يتعالى على الناس وكأنه رَبّ ثانٍ على الأرض ثم يسترسل الكاتب إلى مقابلة بين الأمس واليوم فيقول: " انظر إلى الناس اليوم فأراهم غير الذين عرفتهم في شبابي. فالموظفون مثلاً كانوا غير بطريّن ولا أشرين ظلوا متواضعين لأنهم كانوا أغنياء فأفقرتهم الوظيفة وليس لهم مورد غير معاشهم ولأن ميزانية ذلك العهد كانت كبركة اليمونة، لا تزيد ولا تنقص كما يقولون وزيادة ربع قرش على مال الأعناق أو الأرزاق كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها. أما ميزانية هذه الأيام فكالعجين المخمر،... فتزداد ملايين والمعاشات والدرجات تقفز قفز القبابيط في اليوم القائظ "[٦٦].

وهذا ما نألفه في مقالات مارون عبود من حيث إنها انطلاق لموهبته وخزينه الثقافي الكبير ورؤاه الاجتماعية والأخلاقية وحتى السياسية، ولأنه يطرح مضامين موضوعية فإنها تستدعي أسلوب الترسل في الإفاضة فيها. فمثلاً في مقالة (الصبر مفتاح الفرج) يسترسل مارون في الكشف عن خطأ هذه الحكمة، وهذا المثل المتداول وبشكل عفوي لافت النظر ويثير فيك حب التواصل لتكون في النهاية في صالح الرؤية التي يطرحها بسجيته المعروفة بالتواصل الثقافي والاجتماعي والسياسي في الحياة التي عاشها مارون عبود بكل تفاصيلها... يقول في هذه المقالة: " لاشك في انك تقول حين تقرأ هذا العنوان، عنوان مبتذل، نعم يا سيدي، هذا صحيح ولكن هذا المفتاح العتيق الذي أكله الصدأ أن يكون في يدك أو في عينك ليلاً ونهاراً فأنت محتاج إليه في كل ساعة في المنزل، في السيارة وعلى الطريق، وحينما تنتقل، وإذا مت بعد عمر طويل، فأوصي الورثة أن لا يستأثر به بعد "[٦٧].

وقد استخدم مارون عبود أسلوب الترسل في مقالاته لأسباب منها:

١. ثقافته الأدبية العربية التي تجعل من تذوقه للأسلوب المرسل هو الأقرب إلى نفسه من التعقيد اللفظي كما انه يتيح للكاتب آفاقاً واسعة في طرح أفكاره وتسلسلها وتتابعها دون قيد فإبداعه يعتمد على " الطبع السليم والذوق الرفيع الذي يستخدمه الكاتب في بث أفكاره إلى المتلقي "[٦٨]، ولذلك يجد أن عنانه قد أطلق بالأسلوب المرسل. فضلاً عن اطلاع مارون عبود العميق على آثار الأوائل وتأثره بهم " وإذا عدت صيفا فلأكون في كنف شيخي، أي من مدرسه ثابتة إلى مدرسة متنقلة أعنف، كان رحمه الله، يذاكرني في كل فن ومطلب في الإعراب والتصريف ورواية الشعر والنثر "[٦٩].

٢. الصحافة الأدبية، وأثرها في تطور أسلوب المقالة ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، إذ أصبح طابعها يتسم بالوضوح، والعرض البسيط والدقيق والتحرر من العبارات التقليدية، ومارون عبود مارس الصحافة على نطاق واسع. ولعل ما يميز كتابات مارون في مقالاته هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانطباعية الموجودة بقدر كبير من الثبات، لأنها تمنحه درجة عالية من الوضوح في بلورة رؤاه وفكره، وهي انطباعية عفوية محاطة بكثير من الثقافة المقرونة بالموهبة والمقدرة والتمكن من خلال عكس الواقع والحياة في مقالاته الأدبية.

خاتمه البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية للمقالة الأدبية عند مارون عبود توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. تعد المقالة الأدبية عند مارون عبود نسيجا من عواطفه وهمومه وشخصيته الظاهرة والباطنة، فهي انعكاس واضح على تقلبات حياته وتطور فنه وثقافته وما يطوقها من عواطفه وكأنها مرآة عاكسة لسير حياته من بدايتها حتى نهايتها، وصورة مجسدة لصدق أحاسيسه التي اعتراها العناء والألم والمرارة.

٢. ومن الجدير بالقول أن مارون عبود لم يتخذ المقالة الأدبية هاجساً صحفياً تكسبياً بقدر ما كانت تعبرّ عن نوازع وأحاسيس نفسية وشخصية وذاتية ظاهرة ومتميزة تمنح القارئ دفء التواصل وتستهويه وتأثر فيه.

٣. وللتأمل حضوره المتميز في حياة مارون عبود من خلال أجواء القرية الجميلة وجمال الطبيعة وما تمنحه من خلوة مع النفس، كما أن طبيعة حياته ونفسيته التي تميل إلى العزلة كانت جديرة بان يتجسد التأمل في مقالاته.

٤. ولعل الإمكانيات التي يتبعها الأسلوب القصصي من سرد ووصف وحوار ما جعلها من الأساليب المفضلة لدى مارون عبود. فإمكانيات المقالة القصصية كبيرة. وهي تجسد الجزئيات التفصيلية لحياة أو موقف أو ظاهرة يحاول الكاتب أن يكشف عنها.

٥. كما انه يلجأ في أحيانٍ كثيرةٍ إلى أسلوب الوصف للأمكنة أو ما فيها من طبيعة وهي مألوفة لديه قد صور ما فيها من وديان أو جبال وحتى تعرجاتها وألوانها.

٦. وللحوار في مقالات مارون عبود الدور الهام في عرض مضامينها، ومن خلاله استطاع الكاتب أن يرسم معالم شخصيات واتصال بعضها بالبعض الأخر.

٧. ومارون عبود له باع طويل في الصحافة والنشر، لذلك فمقالاته لم تترك شاردة وواردة إلا وكتب فيها. فضلاً عن ذلك فانه مطلع جيد عما يدور في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية، ما جعله ينوع في أساليب كتاباته التي تعد منافذ شفافة وواضحة جداً لما يريد أن يصل إلى الناس من عواطف وهواجس ورؤى وأمانٍ وأحلام.

٨. كما انه يميل على الاستطراد في عرض موضوعه وسعى فيه إلى تضمين الشعر والأمثال والأقوال المأثورة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

١. د.علي شلق، النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث، دار القلم، ط٢، بيروت، ١٩٨٣: ٣٢٠.

٢. محمد صالح الحافظ، المقالة في أدب احمد أمين، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩: ٢٥. وينظر: أنعام الجندي، الرائد في الأدب العربي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٩ : ١ /٣٧.

٣. د.فائق مصطفى احمد، مصطلح المقالة في النقد العربي الحديث، مؤتمر النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، أربد – الأردن– ١٩٩٤: ٦. وينظر: كامل المهندس ومجدي وهبه، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مطبعة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤: ٢٠٧.

٤. د.ربيعي عبد الخالق، فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٨: ٧. وينظر: بسام خلف سليمان، المقالة عند محمود درويش رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠٠١: ٧ –٨.

٥. نظير مارون عبود، المدخل إلى مؤلفات مارون عبود، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٠: ٢–٣.

٦. د.أسعد أسكاف، مارون عبود الناقد، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨: ٧١–٧٢.

٧. عبود، المدخل، المصدر السابق: ٢٤٥.

٨. أسكاف، المصدر السابق: ١١٠.

٩. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٦.

١٠. عبود، المدخل، المصدر السابق : ١٢٢.

١١. مارون عبود، مجددون ومجتر ون، دار العلم للملايين، ١٩٤٨ : ١٦٣.

١٢. نزار قباني، الشعر قنديل أخضر، منشورات نزار قباني، بيروت ،ط١٥، ١٩٨٤: ٨٤–٨٥. وينظر: مارون عبود، نقدات عابرة، بيروت، ١٩٥٩: ٧٢.

١٣. محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، ط٤، بيروت، ١٩٦٦: ٩٦.

١٤. ينظر: علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ،ط٢، ١٩٨٣: ٢٩٩.

١٥. أسكاف، المصدر السابق : ٢٩.

١٦. د.علي بو ملحم، في الأدب وفنونه، المطبعة المصرية، بيروت، ١٩٧٠: ١٧٠. وينظر: الحافظ، المصدر السابق :٣٤.

١٧. عبد الخالق، المصدر السابق :٨٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨. محمد عوض محمد، محاضرات عن فن المقالة الأدبية، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٥: ٦٤- ٦٥.

١٩. مارون عبود، المجموعة الكاملة لمؤلفات مارون عبود، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٠: ٧ /٨٠.

٢٠. مارون عبود، من الجراب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٣: ٥٠.

٢١. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٧ /٨٢.

٢٢. وفاء رفعت العزي، فن المقالة الأدبية في العراق، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٧: ١٣٦.

٢٣. د.أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٦٧ : ١٦٢.

٢٤. مارون عبود، سبل ومناهج، دار الثقافة، ط٢، بيروت، ١٩٦٤: ٩.

٢٥. د.عبد الله باقازي، مارون عبود، موقع انترنيت، www.unirersal-publhsh.@yahoo.com

٢٦. عبود، سبل ومناهج، المصدر السابق :١٠.

٢٧. سليم عبد القادر العزاوي، أدبنا والواقع الاجتماعي، جريدة الثورة، العدد٣٤٦، السنة الثالثة في ١٩٦٩/١٠/١٤: ٨.

٢٨. عبد الرزاق المطلبي، دور الأدب والفن في التنمية القومية، جريدة العراق، العدد ٣١٢، في ١٩٧٧/٣/٦: ٣.

٢٩. عبود، من الجراب، المصدر السابق :٦٥.

٣٠. مارون عبود، أحاديث القرية، دار الثقافة، ط٢، بيروت، ١٩٦٣: ٥٦.

٣١. عبود، من الجراب، المصدر السابق :٧١.

٣٢. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق :٣ /١٠٦.

٣٣. عبود، سبل ومناهج :٩. وينظر: إميل ناصف، أروع ما قيل في الابتسامة، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٨: ٧١.

٣٤. عبود، أحاديث القرية، المصدر السابق : ٥٠. (أحد المرفع) أيام معلومة تتقدم الصوم عند النصارى، وهو الزمن الذي فيه ترفع بعض المأكولات.

٣٥. عبود، أحاديث القرية، المصدر السابق : ١٤٦-١٤٧.

٣٦. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٣ /٦٨٤.

٣٧. العقاب: جمع عقبه، والعقبة المرقى الصعب من الجبال.

٣٨. تقد الثوب: تقطع، والقدة، قطعه من الثوب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٩. خابية: وعاء كبير من الفخار على شكل الجرة، اشتهرت صناعته في بيت شباب. وبيت شباب أسم بلدة لبنانية.

٤٠. مارون عبود، وجوه وحكايات، ضمن المجموعة الكاملة :٧ /٣٥٢-٣٥٣.

٤١. د.طه عبد الفتاح مقلد، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، دار الزيني للطباعة، المنيرة، ١٩٧٥: ٢٨.

٤٢. طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ : ٣٦٠.

٤٣. عبود، أحاديث القرية : ٩٢.

٤٤. عبود، سبل ومناهج : ١٢٢-١٢٣.

٤٥. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٨ /٤١٦.

٤٦. مارون عبود، حبر على ورق، دار الثقافة، ط٤، بيروت، ١٩٨٠: ١٤١-١٤٢.

٤٧. د.علي جواد الطاهر، رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف، مجلة الفيصل، العدد ٤ لسنة ١٩٨٨: ٤١.

٤٨. الحافظ، المصدر السابق : ١٢٠. وينظر: عبد الخالق، المصدر السابق : ٢٠٣.

٤٩. عبود، المدخل، المصدر السابق : ٢٦٦.

٥٠. مارون عبود، رواد النهضة الحديثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦: ٤.

٥١. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٦ /٢٠.

٥٢. عبود، أحاديث القرية، المصدر السابق : ١١٢-١١٣.

٥٣. المصدر نفسه : ١١٤.

٥٤. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٧ /١٢٦.

٥٥. المصدر نفسه: ٣ /٥٢٩.

٥٦. المصدر نفسه: ٣ /٥٣٢.

٥٧. المصدر نفسه: ٣ /٥٣٣.

٥٨. المصدر نفسه: ٣ /٥٤١.

٥٩. المصدر نفسه: ٣ /٥٤٣.

٦٠. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٣ /٥٢٢.

٦١. الحافظ، المصدر السابق :١١٤.

٦٢. شفيق صبري، الفرق بين أسلوب الأديب وأسلوب الصحفي، مجلة اللغات الحية التونسية، المجلد الأول، العدد ١ لسنة ١٩٦١ :٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٣. احمد الشايب، الأسلوب: دراسة بلاغية لأصول الأساليب العربية، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ط٥، القاهرة، ١٩٥٦: ٨٢.

٦٤. صبري، المصدر السابق : ٥.

٦٥. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٧ /٤٢.

٦٦. عبود، حبر على ورق، المصدر السابق : ٣٩.

٦٧. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٣ /٤٥٩.

٦٨. جليل رشيد فالح، علم البديع نشأته وتطوره، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٣: ٣٢. وينظر: د.منير بكر عبد الله، الصحافة وأثرها في تطوير اللغة، مجلة الجامعة، جامعة الموصل، العدد ٢ لسنة ١٩٧٩: ٣٥.

٦٩. عبود، المجموعة الكاملة، المصدر السابق : ٣ /٢٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com